الأستاذ لحسن عـزوز مقياس نظريات نقدية
سنة ثانية ماستر نقد حديث و معاصر
قسم الأدب و اللغة العربية بسكرة

المحاضرة الثانية 2020/2021
المحاضرة منقولة من بحث جامعي
عراقي منشور

نظرية التواصل وأبعادها في الدرس اللغويّ العربيّ

تعدّ نظرية التواصل اللغويّ التي تُنْسَب إلى رومان جاكبسون من أهمّ النظريات اللسانيّة الحديثة، فالتواصلُ اللّغويّ على وفق هذه النظرية مكوّن من ستّة عوامل هي المرسل والمرسل إليه وقناة الاتّصال والمرجع والسنن(النظام) الذي يجري فيه الاتّصال، ثمّ بينت هذه النظرية أنّ اللغة قائمة على وظائف تؤديها في العملية التواصلية، والعوامل اللّغوية الستّة مع وظائفها لها أبعادها في التراث اللغويّ العربيّ ولاسيّما في علمَي النحو والبلاغة العربية، فالكلامُ عند النحاة يحمل عوامل التواصل مع كثيرٍ من الوظائف، كما أنّ النحاة فرّقوا بين الوظيفة النّحوية والوظيفة التواصليّة التي تؤديها الأدوات النحويّة، ونجدُ عواملَ التواصل اللغويّ مع وظائفه في البلاغة العربية مبثوثةً في تعريف البلاغة وفنونها، ولاسيّما المثلّث التّواصلي الذي ذكره جاكبسون، كما أنّ الفنون البلاغية التي بحثها علماءُ البلاغة نجد فيها تعدّداً في الوظائف اللغويّة وإنْ كانت الوظيفة المرجعيّة والوظيفة الشعرية لايكاد ينفكّ عنها أكثر الفنون البلاغية، فما بحثه النحاةُ وعلماءُ البلاغة من عوامل التواصل اللغويّ ووظائفه يلتقي كثيراً مع نظرية رومان جاكبسون بل يزيدُ عليها استقراءً وعمقاً.

١- المقدّمة

تعدّ الدراسات اللسانية الحديثة مرتعاً للدراسات النحوية والبلاغية بل اللغوية عموماً، وقد تنوّعت الدراسات اللسانية ولاسيّما بعد دي سوسير، فلم يعدّ الاهتمام بنظام العلامات أو النظام النحوي فقط هو محطّ نظرِ اللسانيين، ولم يرتضِ اللغويون الفصل بين النظام النحوي للعلامات اللغوية واللغة بوصفها نظاما عقلياً عملياً" لأنَّ "النظرية النحوية لايمكن أن تعالج من البداية كأنها نظرية جزئية في مركب من النظريات، التي تصور جوانب مختلفة للغات الطبيعية، وتقع في علاقة معقدة فيما بينها"[١] ، فاللغة نظام متشابك يأخذ بعضه بيد بعض، وكأنه دارة كهربائية فلا يمكن أن يؤدّي نظام مفهومه بمعزل عن الأنظمة الأخرى، فلن نفهم العلاقات النحوية بمعزل عن الصرف والبلاغة والمعجم والصوت، ولكننا نستطيع أن نبين كل نظام على حدة من حيث موضوعه وسماته ووظائفه، ولهذا تتوقف صلاحية اللغة وعملها على تكامل الأنظمة المكونة لها[٢]، وقد قسمنا البحث على مطلبين، تناول المطلب الأول منهما نظرية التواصل اللغوي: النشأة والمفهوم، لنبين كيف نشأت نظرية التواصل ثم اكتملت على يد رومان جاكبسون، بحيث صارت تنسب إليه، موضحين أساسيات هذه النظرية وعوامل التواصل اللغوي ووظائفه، وأما المطلب الثاني فكان في أبعاد نظرية التواصل في الدّرس اللّغوي العربيّ، لنبيّن ما تناوله النحاة والبلاغيون والنقّاد من مفاهيمَ تواصلية، قد تكونِ أعلى شأنا مما طرحه الغربيون" لأنّ النحاة ونقاد الأدب والبلاغة قد أشبعوا هذه اللغة جمعاً وبحثاً ودراسة وتقعيداً وتصحيحا.....

٢- نظرية التواصل اللغوي (النشأة والمفهوم)

يمكن أن نعد النظريات اللغوية الحديثة ابتداءً من دي سوسير مؤسّسِ النظرية البنيوية وماتلاها من نظريات هي محاولة لمعرفة اللّغة، إما بموضوعها باعتبارها ألفاظاً دالةً على معانٍ أو بأغراضها ووظائفها أو بلوازم وجودها من وجودٍ متكلّم ومتلقّ أو بتحقق وجودها في الواقع الخارجيّ. ولاشكّ أنّ كثيراً من النظريات يكمل بعضُها بعضاً، ونحن لانستطيع أنْ نتكلّم على اللغة إلا من خلال الكلام أو النص، لأنّ اللّغةَ نظامٌ كلّيّ ذهنيّ يتحقّق بالكلام والنصوص، فإنّ "الكلام ضرورة لتثبيت أركان اللغة.....وأخيراً يكون الكلام هو السبب في تطور اللغة"[٣].

لقد سعى كثيرٌ من المحدثين إلى تسمية الكلام أو النص (خطابا) باعتبار أن قوام الكلام يكون بالخطاب ولهذا عرّف بعض اللغويين الغربيين النصّ من حيث نشاطه التواصلي، فقيل في تعريفه: "النص الجزء المتحقق لغويا للمنطوق في فعل تواصلي)، وقيل: (النص وحدة لغوية تواصلية، أي إنجازية وموضوعية والملازم اللغوي لفعل تواصلي في عملية التواصل وهو دائما وحدة تواصلية ووحدة موضوعية

تؤدي في عملية التواصل وظيفة إنجازية"[٤]، ولاشك أنّ هذا تعريف للنصّ باعتبار وظيفته التواصلية لأنّ الشيء –عموماً– يعرّف إما باعتبار حقيقته وإما باعتبارموضوعه وإما باعتبار غرضه ووظيفته.

وقد اهتمّ المحدثون بالخطاب باعتبار أنّه يؤدّي الوظيفة الحقيقية للّغة وهي التواصل بين المتكلّم والمتلقّي، لأنّ الخطاب يستلزم تصوّره وجود مخاطِب ومخاطَب، فإذا تكلّموا عن الخطاب فلا بدَّ أنْ يتكلموا على لوازم الخطاب أي المخاطِب والمخاطَب، وقد تأسّس مفهوم الخطاب عند الغربيين حديثا، فعرّفه اللساني الفرنسي بانفنيست فقال :"الخطاب هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخر على نحو ما"[٥]، وقد أدرك علماء أصول الفقه وغيرهم من قبل هذا المفهوم فعرّف علماء الأصول الحكم الشرعي بأنّه "خطاب الله المتعلق بفعل المكلف" [٦]، ثم فسّروا الخطاب بالكلام، إمّا على اعتبار تفسير الخطاب بالمخاطب به أو أن يكون الخطاب بمعنى الكلام حقيقة عرفية[٧]، وهو المعروف والمشهور في اللسانيات الحديثة أيضاً[٨]، والذي قاد علماء الاصول إلى تفسير الخطاب بالكلام هو أنّ الخطاب مصدرعلى وزن (فِعال) فيكون أمرا معنويا، فلا يصحّ إطلاقه على اللفظ فقاموا بتأويل الخطاب ليصحّ الحمل.

كما أنه لايشترط في الخطاب وجود المخاطَب ليوجّه المخاطِب خطابه بل استيفاء الخطاب لشروط المخاطبة يوجب له هذه التسمية وإنْ كان المخاطَب سيوجد بعد ذلك، باعتبار أن الخطاب صالح للمستقبل وهو ماسماه علماء الأصول والكلام (التعلق الصلوحي) [٩]، أي يتعلق الكلام بما يصلح أن يتعلق به وإن كان المخاطَب في زمن مستقبل إلى زمن التكلم، ولهذا قالوا في تعريف الخطاب أيضاً "خطاب الله تعالى توجيه ماأفاد إلى المستمع أو من في حكمه"[١٠]، فإذا أصدر المتكلم كلاماً فلا يشترط عندهم وجود المخاطب بل يصحّ أنْ يسمّى الكلام خطاباً وإنْ وُجِدَ المستمعُ (المتلقي) بعد حين، فالخطاب له ديمومة هذا الاسم لصلاحيته بالإمكان العام للمخاطبة. وأوجب علماءُ الأصول أنْ يكونَ المخاطَبُ قابلاً للتواصل في العملية الخطابية لاشتراطهم أن يكون المخاطَب متهيئا لفهم الخطاب[١١]، فالنائم والساهي وما لايعقل لا تتحقق بهم العملية التواصلية فقد شرط علماء الأصول في المرسل إليه أن يكون قابلاً للفهم صالحاً له لتتحقق العملية التواصلية، كما أن الخطاب وإن كان الأصل فيه أن يكون ملفوظاً ولكنه قد ينتقل إلى مرحلة المكتوب في الصحف المقروء فيها، ولهذا فلافرق بين الخطاب والنص عند علماء أصول الفقه، فالفرق بينهما اعتباري لاحقيقي، فإن نُظِرَ إلى أنه كلام ملفوظ فهو خطاب وإن نُظِرَ إلى أنّه مقروء من الصحف فهو نص، وأما عند المحدثين فقد ذهب أكثرهم إلى تساويهما في الدلالة فيستعمل أحدهما مكان الآخر من دون فرق[١٢]، وقد ذكرنا هذه المسألة لنبين أن مفهوم التواصل اللغوي ضارب في مصادرنا اللغوية والدينية، فإن النظرية التواصلية قائمة على الخطاب ومتعلقاته ولوازمه.

ولكي نفهم النظرية اللغوية التواصلية فلا بد من أن نبين معنى (التواصل) لغة، فإن لفظ (تواصل) جذره (و ص ل) خلاف الفصل والانقطاع[١٣]، والتواصل على وزن (تفاعل) لما يصدر من اثنين فصاعداً، و(تواصل) من (واصل) المتعدّي إلى مفعولٍ واحدٍ، وبهذا سيكون (تواصل) مكتفياً بالفاعل لأنَّ المقصود منه قيام الفعل بالفاعل، فلا ينظر إلى تعلق الفعل بالمفعول هنا، لأنَّ وضع (تفاعل) لنسبته إلى المشتركين فيه من غير قصد إلى ماتعلق به[١٤].

وتُعَدّ نظريةُ التواصل من أهم النظريات اللّسانية الحديثة فإنّ "كلّ المفاهيم الأساسية للنظرية النحوية لا يمكن أنْ تفسَّرَ إلا على أساس نظرية التواصل اللغوي"[١٥]، بل إنّ نظرية التواصل قامت على اعتبار أن اللغة هي شبكة من المفاهيم قائمة على وظائف، فاهتمت بالخطاب لأنّه صلب العملية التواصلية وغياب الخطاب عن الواقع يعني غياب التواصل الاجتماعي بكل متعلقاته وملابساته، ومن ثم غياب السلوك الانساني، لأنّ السلوك الانساني مبني على التواصل اللغوي الذي أساسه وعماده هو الخطاب اللغوي، وقد نص منظر التواصلية اللغوية رومان جاكبسون على أنَّ "اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانية"[١٦]، ولأنّ جاكبسون أراد أنْ يدرسَ الفنّ اللّفظي في ضوء نظريته في جميع مظاهره وامتداده، فقد قال: "أنا لساني ولاوجود لأيّ مسالة غريبة عنّي"[١٧]، فلا يمكن لدارس الفن اللفظي أن يتناوله خارج منظور تواصلي، فكلّ سلوك لفظي لا بدَّ له من مآلٍ وكلّ رسالة لا بدَّ لها من وظيفة وتبقى العلاقة قائمة بين هذه السلوكيات اللفظية لأنّه من "الصعب ايجاد رسائل تؤدي وظيفة واحدة ليس غير"[١٨].

ونظرية التواصل وإن كان منظرها جاكبسون فصارت تنسب إليه عند الاطلاق إلا أن البدايات الأولى لهذه النظرية نلمحها عند دي سوسير حين تكلم عن نقل الدماغ الإشارة المناسبة للصورة إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات، فينتقل الكلام من الشخص (أ المتكلم) إلى الشخص(ب المتلقي)، فإذا تكلم

الشخص (ب)بدأفعل جديد من دماغه إلى دماغ الشخص(أ)، فيشير دي سوسير إلى عملية التحاور ونقل الأفكاروجعلها دارة كلامية تشبه الدارة الكهربائية، وقد وضع خطاطة لعملية التواصل وهي كالآتي[١٩]:

وقد اعترف البنيويون لـ(دي سوسير) بقصب السبق في تأسيسه لنظرية التواصل من داخل اللسانيات البنيوية[٢٠]، ثم جاء الباحث النفسي الألماني كارل بوهلر مبيناعمل دي سوسير ومكملاً له، فذكر ثلاثة محاور تقوم عليها العملية التخاطبية وهي: المرسل(ضمير المتكلم) والمرسل إليه(ضمير المخاطب) والموضوع، ويتولد عن المرسل الوظيفة الانفعالية وعن المرسل إليه الوظيفة الإفهامية وعن الموضوع المرجعية[٢١]، فالموضوع هو مايصدره المرسِل متوجها به إلى المرسل إليه. وبناء على أنموذج بوهلر الواضح السهل للعملية التواصلية استطاع رومان جاكبسون أن يطور هذه المحاور ويستدل بسهولة على بعض الوظائف اللسانية الإضافية، لقد انطلق جاكبسون من أساسيات بوهلر للعملية التخاطبية فزاد على العوامل التخاطبية الثلاثة (المرسل والمرسل إليه والموضوع) لتكون له ستة عوامل يستلزمها التواصل اللغوي ثم جعل لكل عامل وظيفة مختصة به.

*** عوامل التواصل اللغوي:** وهي على وفق ماذكره جاكبسون :

١-المرسل: وهو المصدر الأساس في العملية التواصلية، وقد سمي بعدة أسماء منها الباث والمتحدث[٢٢]والناقل[٢٣]، وسمي بالمخاطِب أيضاً كما تقدم، ولولا المرسل لما وجدت العملية التخاطبية أصلا لأنه مصدرها.

٢-المرسل إليه: وهو الجهة التي توجّه له الرسالة من المرسِل، ولا بدَّ من أن يكون المرسل إليه مؤهلا لفهم الرسالة كما اشترط ذلك جاكبسون[٢٤]، فليس كل مستقبلِ (متحدَّث إليه) للرسالة يصلح أن يكون مرسلا إليه، وقد فرّقنا هنا بين المستقبل -كما استعمله بعض اللغويين المحدثين للتعبير عن المرسل إليه- والمرسل إليه، لأن الاستقبال هو عملية فيزيائية وأما المرسل إليه فلا بدَّ من ان يكون مدركا للرسالة أي مؤهلا للفهم والتأويل، فالمجنون قد يستقبل ولكنه ليس مدركا وكذا الطفل الصغير غير المميز فإن دماغه يستقبل الذبذبات الصوتية ولكنه لايستطيع تحليلها وإدراك معانيها، وقد أدرك جاكبسون هذه التفرقة حين قال عن المرجع (سياقا قابلا لأنْ يدركه المرسل إليه)[٢٥]، وقد اشترط علماءُ أصول الفقه والفقهاء أنْ يكون المخاطب عاقلا فاهما للخطاب انطلاقاً من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): ﴿رفع القلم عن ثلاثة:عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم﴾[٢٦]، والحديث وإن تكلم عن التكليف الشرعي لكنه بيّن الأساس في فهم الخطاب بأن يكون مدركا فاهما له مؤهلا لحمل دلالات النصوص.

كما أن المرسل إليه في الفكر اللغوي العربي ليس شرطاً أن يكون موجوداً بالفعل بل يكفي أن يكون موجودا بالإمكان العام، ولهذا صحّت تسمية الخطاب خطاباً وإنْ كان المخاطب غير موجود حال التخاطب كما تقدم عن علماء أصول الفقه.

٣- الرسالة: ولايقصد بالرسالة أن تكون وحدات مكتوبة فقط.فقد تكلم جاكبسون على الاتصال اللساني(التواصل اللفظي) في نظريته عندما بين أن عملية فك الرموز تنتقل من الصوت إلى المعنى فتنتقل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه[٢٧]، فالرسالة في مفهوم جاكبسون هي متواليات صوتية أو مايكون في قوة ذلك-إن كان الخطاب مكتوبا- ولكي تكون الرسالة فاعلة فلا بدَّ من أن تحيل إلى مرجع مشترك بين المرسل والمرسل إليه.

٤-المرجع (السياق): ويقصد به المتحدث عنه أو الموضوع الذي يقوم المرسل بتوجيهه إلى المرسل إليه عبر الرسالة، والموضوع له ملابسات كثيرة من زمان ومكان وحال المرسل إليه وعدده ونوعه وغير ذلك من إشارات قد لاتحصر، ويعد السياق أحد عاملين رئيسين -إلى جانب القناة- لنجاح عملية التواصل اللغوي، وينشأ المرجع (نتيجة تطبيق إجراءات تأسيس محددة وفق بروتوكول مقبول بالإجماع ونتيجة وجود إمكان متاح لأيّ كان من أجل متابعة هذا التطبيق متى عنَّ له ذلك)[٢٨]، فالسياق أو المرجع لا بدَّ من أنٍ يكون مقبولا من لدن طرفي الإرسال وواضحا، وسيأتي اشتراط النحاة أن يكون المتكلم عارفا بكلامه قاصدا له فهذا يمثل الطرف الأول، كما تقدم اشتراط علماء الأصول أنْ يكون المرسل إليه-الذي يمثل الطرف الثاني- فاهما عارفا بالرسالة استنباطا من مفهوم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدم.

٥- السنن: ويقصد به نظام الترميز الخاص بين المرسل والمتلقي، وهذا المصطلح استعمله جاكبسون للدلالة على النظام اللغوي العام الذي يستعمله المتكلم[٢٩]، وأمّا دي سوسير فقد استعمل مصطلح (اللغة)[٣٠]، واستعمل هيلمسيلف (النظام) واما تشومسكي فقد استعمل (القدرة)[٣١]، وعلى كل حال فالقصد من هذا المصطلح وجود نظام لغوي مشترك بين المرسل والمتلقي، بحيث إن المرسل يلقي الرسالة ضوء هذا النظام اللغوي ثم تصل الرسالة إلى المتلقي فيفهمها ويؤول معانيها في ضوء النظام نفسه، أي يكون بين المرسل والمرسل إليه نظام ترميز(um code) مشترك، فالسنن العام مشترك بين المرسل والمتلقي، ولكن هذا السنن العام هو أمر كلي غير قائم إلا بجزئياته التي هي الأنواع السننية والأنساق المختلفة كأنواع تركيبات الكلام من جملة فعلية أو اسمية ومتعلقات كل نوع من الجمل والخبر والإنشاء وغير ذلك من تنوعات الأساليب البلاغية، ويتضمن كل هذا الأبنية الصرفية والمعجمية بطبيعة الحال.

إن السنن هو الكلي الذي لا يقوم إلا بأنواعه، وقد نعبر عنه كما عبر دي سوسير باللغة، وهو أسهل وأقرب للفهم من غيره. ويلحظ أن جاكبسون لم يشترط الاشتراك تماما في (السنن) بل أجاز أن يكون الاشتراك كليا(أي تاما) أو جزئيا[٣٢]، وأما إذا جهل المتلقي السنن فإن عملية التواصل لاتتم أصلا، وأما اذا احتمل السنن عدة توجيهات فعلى المتلقي أن يلتمس الأدلة ليصحح المعنى المطلوب فتتم عملية التواصل.

٦- قناة الاتصال: وهي فيزيقية(فيزيولوجية)، وهي تسمح بإقامة التواصل عن طريق نقل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه[٣٣]، وقناة الاتصالٍ في اللسانيات اللغوية هي الهواء الناقل باعتبار أن الأصل في التواصل أنْ يكون خطابا أي كلاما ملفوظاً، ويمكن في عصرنا أن تتعدد قنوات الاتصال من المشافهة و الانترنت والتلفاز والمذياع وغيرها من قنوات الاتصال الأخرى. وتعد القناة إلى جانب المرجع كما تقدم عاملا رئيسا في العملية التواصلية اللسانية، إذ لولا القناة الناقلة لما حصل تواصل لساني خطابي.

وقد وضع جاكبسون خطاطة صغيرة يوضح بها هذه العناصر(العوامل) التي لايستغني عنها التواصل اللفظي[٣٤]:

** الوظائف اللغوية في النظرية التواصلية

قبل التكلم عن الوظائف اللغوية هنا لا بدَّ من بيان مفهوم الوظيفة اللغوية فقد عرّفها بعضهم بـ"المنزلة التي يتبوؤها أي عنصر من عناصر الكلام كالوحدة الصوتية والوحدة الصرفية والكلمة والتركيب في البنية النحوية للملفوظ"[٣٥]، ونرى أن يكون تعريف الوظيفة اللغوية بـ"مايؤدّيه الدال اللّغوي مفرداً ضمن التركيب أو بمجموع التركيب باعتبار الغرض الذي سيق له في الكلام"، فهذا التعريف يجمع بين الغرض الذي تساق له الكلمة داخل التركيب وبين الغرض الذي يساق له التركيب باعتبار مجموعه ليتناول بعض الفنون البلاغية التي يحكم فيها على مجموع الكلام في أداء الوظيفة وليس على العنصر الواحد فقط.

لقد وضع رومان جاكبسون العوامل الستة التي ذكرناها من أجل التوصل إلى الوظائف التي تقوم بها هذه العوامل.ومفهوم الوظائف كان مسيطرا على جاكبسون في كتاباته الصوتية والأدبية بل اللسانية

عموما، فلا فصل بين الصوت والمعنى بل هما متلازمان، كما لايجوز الفصل بين اللغة (الكلام) ووظائفها[٣٦]، و(اللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها)[٣٧]، فكلّ أسلوب لساني–أدبي أو نحوي– لا بدَّ من أن يكون له وظيفة، ولا فصل بين اللغة والأدب، فكلاهما تحت عباءة اللسانيات، وهو ماقرره جاكبسون (أنا لساني ولا وجود لأيّ مسألة لسانية غريبة عنّي)[٣٨]، بل إنّ عدم الفصل بين اللغة والأدب في الدراسات اللسانية صار مشهوراً بين اللسانيين باعتبار أن اللغة هي كيان واحد بل هي جسد واحد لا يمكن فصل جزء منه،فلا فرق بين مسائل الأدب ومسائل اللغة، وهذا التوجه إلى عدم الفصل بين مكونات اللغة مغزاه الوصول إلى الوظائف اللغوية، فاللغة بمكوناتها لها وظائف لأنّها قائمة على التواصل، بل إن جوهارد هلبش يرى أن وصف علم اللغة بالوظيفي يقصد به أنه تواصلي، فيصح وضع أحدهما مكان الآخر، على الاستبدال دون تغير في المعنى[٣٩]، فالتواصل اللغوي لا بدَّ أن يتضمن وظائف لغوية أو إن التواصل اللغوي حين يُقَدّم يعبر عن وظائف اللغة أيضاً على رأي جوهارد هلبش، وقد تقدّم أنّ بعض علماء اللغة الغربيين عرَّفَ النص باعتبار وظيفته اللغوية، أي عرف اللغة باعتبار مقصدها وهدفها، لشدة اهتمامهم بالوظيفة اللغوية، ولهذا فـ"كلّ نصّ يمتلك هدفاً – صريحاً أو مكنياً– يشتغل على تمظهرات ومعتقدات و/أو سلوكيات المتلقي فرداً أو جماعة"[٤٠]، وهذا النص المنقول يفيد بأنّ كلّ أسلوب له وظيفة يؤدّيها في الكلام، وهذا مابيّنه علماءُ البلاغة العربية فذكروا لكلّ أسلوب بلاغي وظيفته الخاصة به.

وقد حاول جاكبسون أن يؤطر الوظائف اللغوية ويحصرها على وفق العوامل المكونة للتواصل اللفظي، فذكر ستّ وظائف، وهي:

١–الوظيفة التعبيرية

وتسمى أيضاً الوظيفة الانفعالية، وهي المعبرة عن المرسل تجاه مايتحدث عنه، والوظيفة التعبيرية "تنزع إلى التعبير عن عواطف المرسل ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، ويتجلى ذلك في طريقة النطق مثلا، أو في أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوه أو التعجب أو دعوات الثلَب أو صيحات الاستنفار....."[٤١]، ويلحظ أن هذه الوظيفة يؤديها التواصل اللفظي أكثر من النص المكتوب، وهو ماركزٍ عليه جاكبسون، باعتبار أن التواصل اللفظي هو الذي يحقق الوظائف اللغوية، وقد ضرب جاكبسون مثالاً على أثر التشكيل الصوتي في تباين المعنى حين ذكر أنّ عبارة (هذا المساء) قدمت –في مسرحية ما من متكلم واحد– أربعين رسالة تعبيرية بواسطة تنويع التلوينات التعبيرية، بل ذكر أن هذا المتكلم سجل خمسين موقفاً للجملة السابقة بسببٍ تغيرات التشكيل الصوتي لها من الكلمتين[٤٢]، ولاينبغي أنْ يغيب عنا سبب علّة نزول القرآن الكريم مقروءاً من جبريل –عليه السلام –على النبيّ محمدٍ–صلى الله عليه وسلم– ولم ينزل مكتوباً، فالأداء الصوتي له دلالات أغنى من دلالات النص المكتوب قطعاً.

والوظيفة التعبيرية عند جاكبسون ليس شرطاً فيها ان تكون صادقة –أي مطابقة للواقع– فقد تكون كاذبة مخادعة للمتلقي[٤٣]، أي أنّ الكلام قد يكون صادقا مطابقا للواقع أو كاذبا غير مطابق له، ولكن هذا لايعني أصحاب هذه النظرية بقدر ما يعنيهم –في علم اللسانيات–النظر إلى بنية الكلام وأغراضه، كما أنّ جاكبسون لايرى أن الجملة الخبرية تقدم معلومة(فائدة) من دلالات الألفاظ فقط بل يجب أنْ ننظر إلى العناصر غير اللسانية، أي لايصحّ أنْ نفهم الوحدات الدلالية فقط لكي نفهم الرسالة، فيقول جاكبسون: "إن الاختلافات الانفعالية عناصر غير لسانية قابلة لأن تنسب إلى انجاز الرسالة لا إلى الرسالة، فإن ذلك اختزال للطاقة الإخبارية للرسائل بشكل تعسفي"[٤٤]، وهنا يشير جاكبسون إلى طريقة الأداء في تغيرات الوظيفة الإخبارية للرسالة، وهو ما تكلّم عنه علماء البلاغة في انتقال الخبر إلى الإنشاء في مثل قوله تعالى﴿ والوالداتُ يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كاملَيْنِ﴾[٤٥] أي ليرضعن، وكما في انتقال الأمر الذي يؤدي وظيفة الطلب على سبيلِ الوجوب إلى وظائف أخرى، منها الإباحة أو التهديد أو التعجيز. فالعناصر غير اللسانية المقترنة بالكلام هي التي تغير وظائفه، ومثل أسلوب الأمر أسلوب النهي وغير ذلك مما سطره علماء البلاغة منذ قرون كثيرة. أي إنّ الكلام يؤدّي مفهوماً إخبارياً بوحداته المعجمية والصرفية، ولكن من الخطأ أنْ نختزل مفهوم الإخبار بالمدلول المعجمي الصرفي أي المظهر المعرفي العام للكلام، فإن إنجاز الرسالة حينئذ لنْ يتمّ.

لقد وضع جاكبسون محورين بهما تقوم الوظيفة التعبيرية (الانفعالية)، وهما:

أ– استعمال أدوات دالة على التكلم مثل (أنا أو تاء المتكلم) أي كلّ ضمير دال على المتكلم، أو استعمال صيغة التعجب الدالّة على مظهر انفعالي للمتكلم أو المرسل.

ب- عدم اختزال هذه الوظيفة في مظهرها الإخباري بل يجب النظر إلى العناصر غير اللسانية، لأن الاختلافات الانفعالية هي غير لفظية، وقد مرّكيف أن عبارة (هذا المساء) قد ذكرت أربعين مرّة، وفي كلّ مرّة كان لها معنى مختلف مع أن المدلول المعجميّ الظاهر هو واحد، ولكن التحليل التواصلي أوجب تعدّد المعاني بالنظر إلى العناصر غير اللسانية المعبّرة عن المعاني المختلفة، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنّ الجملة الخبرية هي الحاملة لهذه الوظيفة عند جاكبسون، ونلمس من كلامه أيضاً أنّ المحور الثاني أي عدم النظر إلى الظاهر الإخباري فقط يجري مع كل الوظائف[٤٦].

٢- الوظيفة الإفهامية

وقد أطلق عليها بعض اللسانيين (الوظيفة التاثيرية)[٤٧]، ونجد هذه الوظيفة "الأكثر خلوصا في النداء والأمر اللذين ينحرفان من جهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب عن المقولات الاسمية والفعلية الأخرى، وتختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية، فالجمل الخبرية يمكنها أن تخضع لقياس الصدق، ولايمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك"[٤٨]، ولاشكّ أن مصطلح الإفهامية يفيد أن المقصود من هذه الوظيفة إفهام المتلقي وتحصيله المعاني التي يقصدها المتكلم، وأما مصطلح (التأثيرية) فيشير إلى عملية التلقي على وجه الانفعال والتأثير السلوكي أو النفسي بالعملية التواصلية(الخطابية)، والسمة التي تطبع هذه الوظيفة هي المعلومة الجديدة التي تتضمنها الرسالة، وهي إما أنْ تكون طلبا على سبيل حصول الفعل وهو الأمر وإما طلبا على سبيل ترك الفعل وهو النهي، وعموما فالخبر بأنواعه والإنشاء بأنواعه يستعمل لأداء هذه الوظيفة، وسنأتي على ذكر أبعاد هذه الوظيفة عند علماء البلاغة في المطلب الثاني.

٣- الوظيفة الانتباهية

توجد عناصر لغوية تقوم بأداء وظيفي خاص في الكلام يأتي بها المتكلم لإثارة انتباه المتلقي للتأكد من تواصل المتلقي مع المتكلم، وبقائه في ضمن دائرة العملية التواصلية، ولهذا يقول جاكبسون :"هناك رسائل توظف في الجوهر لإقامة التواصل وتمديده أو فهمه، وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل (ألو، أتَسْمَعُني) وتوظف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من أن انتباهه لم يرتخ (قل أتسمعني)"[٤٩]، ويلاحظ أن جاكبسون لم يهمل المتلقي في إدامة التواصل وتمديده حين يقول(ومن الجانب الآخر من الخط -يقصد المرسل إليه- "هَمْ – هَمْ")[٥٠]، فهذه الوظيفة لاتركز على موضوع الرسالة بقدر ماتركز على مايعزز العملية التواصلية ويثبتها ويديمها، ولهذا يلاحظ مشاركة المتكلم والمتلقي في إنجاز هذه الوظيفة وتحققها، ولهذا سماها مالينوفسكي- الذي جاء قبل جاكبسون- بـ (التشارك الانتباهي)[٥١]، والسمة التي تمتاز بها هذه الوظيفة من سائر الوظائف أنها "الوظيفة الوحيدة التي تشترك فيها الطيور الناطقة مع الكائنات الانسانية، وهي أيضاً الوظيفة اللفظية الأولى التي يكتسبها الأطفال، إن النزوع إلى التواصل عند الأطفال يسبق طاقة إصدار الرسائل الحاملة للأخبار"[٥٢]، فلا يشترط في العناصر اللغوية المستعملة لأداء هذه الوظيفة أن تؤدي موضوعا إخباريا أو إنجازاً إنشائيّاً بل يكفي لهذه العناصر أن تنبه المتلقي- إن كان الباث هو المستعمل لهذه العناصر- أو المتكلم – إن كان المتلقي هو المستعمل لهذه العناصر-على أن العملية التواصلية اللغوية مستمرة غير منقطعة، ولهذا ذكر جاكبسون الأطفال للإشارة إلى أنهم قد لايستطيعون إصدار الجمل المفيدة لكنهم يستطيعون إصدار عناصر لغوية منبهة.

فالوظيفة الانتباهية لايمكن أن تكون هي المدلول الوحيد في العملية الخطابية لأن الوظيفة الانتباهية ليست سوى غَرَض من أغراض الكلام وليست مقومة له، ولهذا فقد يقوم بها من لاينتج كلاما مفيدا كالطيور والاطفال، ولهذا فالوظيفة الانتباهية لايمكن أن تنفك عن الوظيفة المرجعية أبدا، بمعنى متى وجدت الوظيفة الانتباهية وجدت المرجعية وليس العكس.

فالعناصر اللغوية في هذه الوظيفة تؤدّي أمرين:

١- التأكد من أنّ المخاطب مقبل على المتكلم متفاعل معه غير مشتت الانتباه، ليعلم المتكلم أن المتلقي متواصل معه فاهم كلامه، ليحقق الخطاب(الرسالة) مطلبه.

٢- تطويل التخاطب وتمديده والاستزادة من الكلام لتتم عملية التواصل، وهنا قد نرى المتلقي يقوم بأداء عناصر معينة ليُفهِم المتكلمَ تواصله معه وديمومة عملية التواصل.

٤- الوظيفة المرجعية

ويطلق على هذه الوظيفة عدة مصطلحات منها(الموضعية)[٥٣] و(المعرفية والسياقية)[٥٤]، ويقصد بها أنْ تكون الألفاظ دالة على المعاني المتحققة في الخارج، فيقوم المتكلم بذكر هذه الدوال للدلالة على

هذه الأشياء، إن هذه الوظيفة تعبر عن العلاقة بين(الكلمات والأشياء)، فالرسالة منطوقة بلغة، وهذه اللغة "تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة"[٥٥]، ولاشكّ أنّ الوظيفة المرجعية من الوظائف المهيمنة في الدراسات اللسانية ولكن لاينبغي حصر الوظائف في الوظيفة المرجعية وحدها[٥٦]، فالألفاظ التي تتضمنها الرسالة تشير إلى أشياء خارج النص، فهي –أي الألفاظ–مرجعيات إلى مدلولات خارجية ويقوم السياق الذي يحتف بالنص (الرسالة) بتعيين هذه المدلولات من العناصر اللفظية، وقد اعتبر (بيار غيرو)هذه الوظيفة قاعدة لكلّ تواصل[٥٧]، فهي الوظيفة الأساسية التي لاتنفك عنها اي رسالة تواصلية.

٥– الوظيفة التعريفية (وظيفة ما وراء اللغة)

لكي نفهم هذه الوظيفة لا بدَّ من التمييز بين استعمالين للغة، فاللغة إما أنْ تتحدّث عن الصور الذهنية(الفكرة) وإما أنْ تتحدث عن معاني الكلمات وبيانٍ معانيها وتفسيرها، أي نقوم بالتعريف عن الأشياء أو المعاني غير المفهومة، فالمتكلّم حين يلقي نصاً فإنَّ هذا النص قد يتضمّن كلمات غير مفهومة عند المتلقي، فيقوم المتلقي بالسؤال عن معناها، فإذا عرف المتكلم هذه الكلمة وبين معناها فإنه يقوم بهذه الوظيفة التي سميت بـ(الوظيفة الميتا لغوية أو وظيفة ما وراء اللغة أو الوظيفة اللسانية الواصفة أو وظيفة تعدي اللغة)[٥٨]، وقد سميناها بـ(الوظيفة التعريفية) لأنّ جاكبسون أخذها من المناطقة كما أشار هو[٥٩] حين تكلموا عن القول الشارح ثم بينوا أنواعه ومن الحدّ التام والناقص والرسم التام والناقص، ويجمع هذه الأنواع كلها (التعريف)[٦٠]، ولهذا ارتأينا أنْ نسميها بالوظيفة التعريفية، لأن المتكلم يقوم في هذه الوظيفة بالتعريف بمعاني الكلمات من حيث حقيقتها أو بما يوضحها إن كان السؤال عن معنى مفردة لغوية وأما إن كان الكلام غير مفهوم فيسأل المتلقي عن معنى الكلام ليُوضح بطريقة أخرى أسهل، لأن المتكلم والمتلقي يحاولان دوما التأكد من أنهما يستعملان السنن نفسه والنظام اللغوي عينه[٦١]، فهذه الوظيفة لا تقتصر على المتكلم وحده بل يقوم بها المتلقي أيضاً، ويمكن أنّ نعدّ هذه الوظيفة من أظهر الوظائف الدالة على التواصل لأنّها تنشأ –غالبا– من سؤال حقيقي أي بالفعل أو بالقوة بأن يدرك المتكلم أن المتلقي يريد ان يسأل عن معنى معجمي أو معنى الكلام بمتوالياته الدالة، فيسأل المتكلم المتلقي :هل تفهمني ؟، هل تفهم معنى هذا الكلام؟، هل فهمت قصدي؟، أو يقوم المتلقي بسؤال المتكلم حقيقة عن معنى كلمة في الكلام أو عن معنى الكلام عموما.

٦– الوظيفة الشعرية

إن التركيز على الرسالة بما تتضمنه من جوانب صرفية ومعجمية وتركيبية يقصد به أن ننظر إلى الرسالة فقط[٦٢]، ولاننظر إلى منشئها أو متلقيها، وحينئذ لن يكون النظر إلى الرسالة على أنها أداة تواصل بين المتكلم والمتلقي، بل تكون الرسالة هي هدف التواصل وغايته، فالوظيفة الشعرية هي"الوظيفة الجمالية بامتياز، إذ إن المرجع في الفنون هو الرسالة التي تكف عن أن تكون أداة الاتصال لتصير هدفه"[٦٣]. وقد وضع جاكبسون خطاطة صغيرة موضحة لهذه الوظائف[٦٤]:

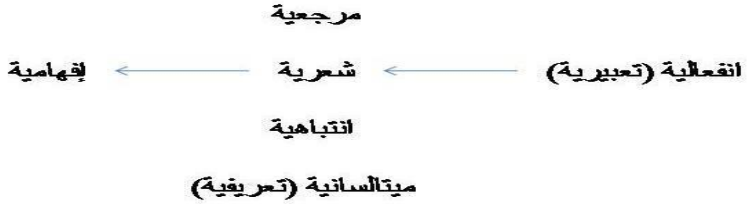

إن العناصر التي لا بدَّ من وجودها ا لفظي وهما(الاختيار والتأليف)[٦٥]، أما بأنواع المترادفات ودقائق المعاني الفارقة، فمن غير معرفة لغوية بالمواضعات اللغوية لن يكون نمط الاختيار موجودا، فيقوم المتكلم باستبدال لفظ مكان لفظ آخر ليحقق التماثل فيأتي التأليف الذي يعتمد على بناء المتوالية على المجاورة، ويسقط الوظيفة الشعرية مبدأ التماثل لمحور الاختيار على محور التأليف[٦٦]، ولايمكن أن نحصر هذه الوظيفة في الشعر خاصة بل هي يمكن أن تجري في كلّ الأجناس الأدبية كما أن الوظيفة الشعرية ليست "هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحددة"[٦٧]، وحين تتغلب هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى وتهيمن على الكلام فإن المتلقي ينصرف ذهنه عن الوظيفة المرجعية إلى الانفعالات الوجدانية والعواطف التي تخلفها هذه الوظيفة.

٣-التواصلُ ووظائفُهُ في الدَّرسِ اللّغويّ العربيّ

تُعدُّ اللغة العربية منبعا ثراً للدراسات اللسانية، ويمكن أن يقال إن النظريات اللغوية الحديثة موجودة في أحشاء تراثنا اللغوي متمثلة بالدراسات الصرفية والمعجمية والصوتية والنحوية والبلاغية، ويمثل هذا المطلب البعد النظري والتطبيقي لنظرية التواصل اللغوي في الدرس اللغوي في العربية، وسنبين مفهوم التواصل ووظائفه في الدرس اللغوي في محورين، وهما النحو العربي والبلاغة العربية، لأنهما المعنيان بالتراكيب اللغوية، وأما الصرف والمعجم والصوت فإنها تمثل عناصر اختيارية ولاتحقق للوظائف فيها ما لم تمثل خطابا(رسالة) موصولا إلى المتلقي.

٣-١ نظرية التواصل ووظائفها في النحو العربي

لقد اهتم النحاة بالتواصل اللغوي وبنوا كثيراً من المفاهيم النحوية على أساس المثلّث التواصلي(المرسل، المرسل إليه، الرسالة) ووضعوا هذه المفاهيم النحوية على وفق وظائفها أيضاً، وسنبين عناصر التواصل ووظائفه في عدة مفاهيم بينها النحاة ومنها:

١- تعريف الكلام: لقد عرف النحاة الكلمة المفردة مع أن الكلام أهم "إذ به يقع التفاهم والتخاطب"[٦٨]، فالمقصود من الكلام هو التفاهم والتخاطب أي ما يحقق التواصل اللغوي لأن التفاهم على وزن تفاعل دالّ على المشاركة كما تقدم في وزن (تخاطب)في أول البحث، وهم إنّما بدأوا بتعريف الكلمة في مصنفاتهم لأن الكلام مؤلف من كلمات مفردة.وأما تعريف الكلام عند النحاة فقد قال خالد الأزهري: "اللفظ المفيد بالوضع....والمراد بالمفيد مادل على معنى يحسن السكوت عليه أي على ذلك اللفظ بحيث لايصير السامع منتظرا لشيء آخر"[٦٩]، ثم بين النحاة معنى الإفادة بأن يكون الكلام دالاً على معنى مقصود ولم يعلم ثبوته ولانفيه، أي أن يفيد معلومة جديدة عند المتلقي ولهذا لم يعد النحاة نحو (السماء فوقنا) و(النار حارة) كلاما وإن اشتمل على مسند ومسند اليه، لأنه لم يفد معلومة جديدة عند المتلقي[٧٠]، كما بحث النحاة مفهوم (حسن السكوت) فهل هو وصف للمتكلم أم للمتلقي؟ أي هل يقصد به حسن سكوت المتكلم أم سكوت المتلقي؟ بحيث لاينتظر شيئا آخر من أجل تمام المعنى المقصود، وقد رجح أكثر النحاة أن يكون وصفا للمتكلم فيكون معنى التعريف: لفظ مفيد يحسن سكوت المتكلم عليه بحيث لايصير السامع منتظرا لشيء آخر[٧١]، ويلاحظ في هذا التعريف مايأتي:

١- ذكر أركان النظرية التواصلية من المرسل(المتكلم) والمرسل إليه(المتلقي) والرسالة (الكلام)، وذكرالمرجع لأن الكلام هو الفاظ دالة على معان، وذكر السنن (النظام) أيضاً لاشتراطهم أن يكون الكلام موضوعا بالوضع العربي ليصح التواصل.

٢- الوظيفة التعبيرية: وتتمثل بالمتكلم الذي شرطوا فيه ان يكون قاصدا لكلامه، فالنائم لايسمى متكلما في عرف النحاة وإن أصدر كلاماً مفيداً وكذا الساهي والكلام الصادر من الطيور التي تحاكي كلام الانسان وصدى كلام المتكلم أيضاً[٧٢].

٣- الوظيفة الافهامية: وتتمثل بذكر السامع (المرسل إليه) وقد شرطوا أن لايكون السامع منتظراً كلمة أو أكثر ليتم المعنى المقصود، فيحصل الإفهام عند المتلقي حينئذ.

٤- الوظيفة المرجعية: وتتمثل في المعلومة الجديدة المشترطة في التعريف حين قيدوا اللفظ بـ(المفيد)، فإن لم تحصل الإفادة فلا كلام في عرف النحاة، فلو تكلم المتكلم بمعلومة يعرفها المتلقي معرفة لا يحصل منه فائدة ولا لزوم الفائدة فلا يسمى هذا كلاما ومثلوا بـ(السماءُ فوقَنا) التي لايجهلها أحدٌ، ومثله لو علم المتلقي (قيام زيد) مثلاً فقال المتكلم: (قام زيدٌ أو زيدٌ قائمٌ) فليس هذا بكلام عند النحاة لعدم حصول الفائدة المتجددة[٧٣].

٥- الوظيفة التعريفية (وظيفة ماوراء اللغة، الميتا لغوية): وتتمثل في اشتراطهم أن يكون الكلام موضوعا بالوضع العربي الدال على استعمال السنن نفسه بين طرفي الخطاب.

٢-المبهمات النحوية: تمثل المبهمات النحوية إشكالاً دلاليّاً في ظاهرها، فإن المبهمات النحوية مثل(أسماء الاشارة والأسماء الموصولة، الضمائر) هي معارف، والمعرفة معلوم معين عند المخاطب، ولكنّ المتكلم إذا قال (هذا)فإن اسم الإشارة (هذا) ينطبق على كل مذكرٍ مفرد، ومثله (الذي) فإنه ينطبق على كل مذكر مفرد، وهذا يعيق العملية التواصلية لأنّه يكون مبهماً عند المتلقي، ولهذا شرط النحاة شروطا يقوم بها المتكلم ليخرج اللفظ من الإشكال الدلالي فيتعين عند المتلقي مما يسهل العملية التواصلية، ولهذا قالوا في تعريف أسماء الإشارة (ماوضعت لمعيّن في حال الإشارة)[٧٤]، فلا بدَّ

من اقتران إشارة المتكلم حين التكلم باسم الإشارة ليتمّ التواصل، فالقرينة المعينة لاسم الإشارة هي إشارة المتكلم نفسه بحيث يراها المتلقي أو يفهمها ليتعين اسم الإشارة.

أما **الأسماء الموصولة** فهي من المبهمات أيضاً لوقوعها على كلّ شيءٍ من حيوانٍ أو جمادٍ وغيرهما[٧٥]، ولاشكّ أنّ المتكلّم يعرف المعني بالاسم الموصول حين يتكلم به، وأما المخاطب فإن الاسم الموصول عنده مبهم فيحصل عائق تواصلي إن لم يذكر مايرفع إبهامه ويبينه، فأوجب النحاة ذكر صلة الموصول مقترنة به غير منفكة عنه، بل إن لفظ(الموصول) يوحي بأن له صلة لأن التقدير(الموصول بصلته)، وحذف لفظ (بصلته) لكثرة الاستعمال، فشرط النحاة في صلة الموصول "أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول على ماتقدم أن الحكم الذي تضمنته الصلة ينبغي أن يعتقد المتكلم في المخاطب أنه يعلم حصوله للموصول"[٧٦]، ويلحظ مما تقدم فيما يتعلق بنظرية التواصل ووظائفها مايأتي:

١- أكدّ النحاة وجوب وجود الصلة بين المتكلم والمتلقي في الكلام، فإذا وجد ما يوهم وقوع المتلقي في الإبهام واللّبس تعين على المتكلم أن يرفع هذا الابهام بالقرائن الحسية كما في اسم الإشارة أو بالقرائن اللفظية كما في صلة الموصول، ولهذا كانت صلة الموصول من الجمل التي لامحل لها من الإعراب لأنّها تأتي من أجل الوظيفة الدلالية فقط وهي إزالة الإبهام عن الاسم الموصول.

٢- لا بدَّ من أنْ يكون المتكلم على علم بوضع المخاطب ومايحتاجه وما يمتلكه من المعرفة قبل إيقاع العملية التواصلية، وهذا ما صرّح به الرضي الإستراباذي في النص المتقدّم، إذ أوجب أن تكون جملة الصلة معلومة عندالسامع بل ينبغي أن يعتقد المتكلم أن السامع على علم بها، وهذا يعني استحضار المتكلم السامع قبل زمن التكلم، وهذا هو أساس العملية التواصلية التي يبحثها التداوليون الآن، وقد ذكرها النحاة منذ قرون.

أمّا **الضمائر** فهي من الأسماء المبهمة أيضاً لأنّ الذي وضع لتعيين المسمّى هو العلم وأما باقي المعارف فإنّما وضعت للكليات[٧٧]، فالضمائر وضعها كلي ولولا القرينة الملازمة لها لما تعرفت" لأنّ (أنا) يطلق على كل متكلم، وإنما يختص بقرينة الحضور، فلن نفهم الضمير(أنت) إلا بقرينة حضور المتلقي ومواجهته المتكلم حقيقة وبالفعل أو بالقوة بأن يقدر المتكلم وجود المتلقي في مستقبل الزمان، فالقرينة في تعيين الضمائر هي التكلم او التخاطب أو الغيبة، وأما الأسماء الظاهرة المستعملة في الكلام فهي موضوعة للغيبة مطلقاً[٧٨]. ومن ثم فالضمائر تمثل وظائف تواصلية، فضمائر التكلّم لوظيفة التعبير، وضمائر التخاطب لوظيفة التأثير، وضمائر الغيبة والأسماء الظاهرة للوظيفة المرجعية" لأنَّها تتكلّم عن أشخاص خارج دائرة طرفَي الخطاب.

ومما يوظف في دائرة التواصل بين المتكلم والمخاطب ما ذكره النحاة من وجوب تعريف المبتدأ أو تخصيصه مطلقاً لجواز الابتداء به، وعلة عدم جواز الابتداء بالنكرة عدم حصول الفائدة عند المتلقي، لأنّ "النكرة مجهولة -أي غير معينة فهي ماشاع في جنسه- والحكم على المجهول لايفيد غالبا إلا إن حصلت به فائدة كأن يخبر بمختص"[٧٩]، فالغرض من الكلام إفادة المخاطب، ولكي تتم عملية التواصل اللغوي على أكمل وجه اشترط النحاة أن يكون المبتدأ معلوما والخبر مجهولا[٨٠]، لأن المبتدأ إن كان مجهولاعند المتلقي فلن يفيده شيئا، وإن كان الخبر معلوما لدى المتلقي فيكون من تحصيل الحاصل ويكون مثل قولنا(السماء فوقنا)، وحينئذ لايعد كلاما كما تقدم.

ويتبين مما تقدّم أنّ النحاة لم ينظروا إلى المتكلم فقط أو المتلقي فقط ولم يكن همهم الكلام فحسب بل نظروا إلى المثلث التواصلي بنظرة متوازية.

٣-أدوات التنبيه: هذه الأدوات تكلم عليها النحاة على أنَّها أدوات تنبيه من المتكلمِ للمتلقّي، وقد وردت هذه الأدوات في عدة أبواب نحوية، فمن ذلك:

أ- أحرف النداء: وقد أجمع النحاة على أنها تفيد التنبيه بل سماها سيبويه حروف التنبيه باعتبار إحدى وظيفتيها، فقال: "وأما (يا) فتنبيه، ألا تراها في النداء وفي الأمر كأنك تنبه المأمور:[٨١]، فقد أشار سيبويه إلى الوظيفتين (التنبيه والنداء)، ويتابع سيبويه ابنُ جنّي فيقول :" يا في النداء تنبيها ونداءً في نحو يازيد وياعبد الله". فالتنبيه هو وظيفة تواصلية تؤديها أحرف النداء إلى جانب وظيفتها النحوية إذ تنصب المنادى بنفسها أو بالنيابة على الخلاف بين النحاة[٨٢]، ومما يدلّ على أنَّ أحرف النداء تؤدّي وظيفتين مختلفتين (تنبيهية ونحوية) أنّ النحاة أجازوا حذف حرف النداء إذا كان المنادى قريباً فلايحتاج إلى تنبيهٍ بأنْ يكونَ مقبلاً على المخاطب ويبقى العمل النحوي للحرف المحذوف، واستغني عن

الوظيفة التنبيهية لأنّ المخاطب حين يقبل على المتكلم لايحتاج إلى تنبيه، وفي هذا يقول الرضي عن حذف حرف النداء :"لأن حرف التنبيه إنما يستغنى عنه إذا كان المنادى مقبلا عليك متنبها لما تقول"[٨٣]، بل إنّ بعض النحاة فرق بين أدوات النداء في الوظيفة التواصلية وجعل الصوت هو المحدّد للوظيفة التواصلية، فيقول ابن يعيش: "الغرض من حروف النداء امتداد الصوت وتنبيه المدعو، فإذا كان المنادى متراخياً عن المنادي أو معرضاً عنه لا يقبل إلا باجتهاد أو نائماً...استعملوا جميع حروف النداء ما خلا الهمزة...لأنّها تفيد تنبيه المدعو ولم يرد منها امتداد الصوت لقرب المدعو"[٨٤] فالحرف الذي يمتد صوته مثل (يا و أي و هيا) لنداء البعيد والحرف الذي لايمتد صوته وهو الهمزة لنداء القريب.

وممّا تقدّم يتبيّن أنَّ أحرف النداء تؤدّي وظيفتين (تنبيهية ونحوية) ومن أجل أنْ تؤدّيَ هذه الأحرف الوظيفة التنبيهية يؤتى بها في بداية الكلام ليحقّق الوضعُ المكانيّ الوظيفةَ التنبيهية.

ب- أحرف خالصة للتنبيه: وهي (ألا، أما، ها)عند كثير من النحاة[٨٥]، وبزيادة (يا) عند ابن مالك الذي ذكر أن (يا) إن جاء بعدها فعلٌ أو حرفٌ فهي للتنبيه فقط[٨٦]، نحو قوله تعالى: ﴿ يا ليْتَني كُنْتُ مَعَهُم فأفوزَ فَوْزاً عَظيماً﴾[٨٧] وقوله في قراءة الكسائي ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[٨٨]، ولعلّ ابن مالك قد تبع سيبويه الذي تقدم عنه تفرقته بين (يا) الداخلة للنداء وبين (يا) الداخلة على الأمر كما في قراءة الكسائي.

وينبغي الإشارة إلى أنَّ هذه الادوات تكون في صدر الكلام أيضاً إلا(ها)، فإنها قد تأتي في صدر الكلام نحو هذا الرجل كريم، وقد تأتي في حشوه نحو: يا أيها الرجل[٨٩]، وقد تكون متصلة باسم الإشارة كما تقدم، وقد تنفصل عنه، كما في قوله تعالى {ها أنْتُمْ أولاءِ}[٩٠]، وقد لايأتي بعدها اسم إشارة أصلا كقولنا: (ها قد نجحت)، ونستطيع أنْ نضيف إلى أدوات التنبيه أدوات أخرى تؤدي الوظيفة التواصلية نفسها، كأدوات القسم التي تنبه المستمع على أنّ الرسالة التي ستصله حقّ وأنّها تستحق الانتباه والإصغاء، ومن أدوات التنبيه أيضاً أدوات التوكيد (إنَّ، أنَّ....)لأنّ التوكيد هو تثبيت المعنى في نفس المتلقي الذي يستلزم تنبيها له، ولهذا فالغالب في أدوات التوكيد-ومن التوكيد أسلوب التكرار البلاغي أيضاً- أنْ تكون في صدر الكلام لتؤدّي الوظيفة التنبيهية.

وقد أشار جاكبسون إلى أنّ المرسل إليه قد يستعمل أداة تنبيه أيضاً لتطويل التواصل وتمديده كما تقدم في الوظيفة التنبيهية، ومما ذكره النحاة في هذه المسالة استعمال اسم الفعل (إيه) بمعنى زد في الحديث أو في العمل[٩١]، التي تقتضي أن المتلقي يستزيد المتكلم لتطويل االعملية التواصلية.

٢-٣ نظرية التواصل ووظائفها في البلاغة العربية

تعدّ البلاغة العربية نبعاً لايغور بل هي بحر لاينفد من المعاني، وقد قدمت لنا البلاغة العربية أبعاداً عميقة في طريقة الكلام وأساليبه وسماته ومكامن إبداعه، ثم تلت ذلك مرحلة النقد البلاغي التي أثارت لنا معاني جديدة وطرائق أخرى في فهم الخطاب أو النص، ولهذا لم يزل الدارسون ينهلون من بلاغتنا العربية في معرفة الأساليب ومواضع الإبداع وسبل الإنتاج من غير اجترار ولا تكرار، وعلماء البلاغة العربية قد تكلموا على اللغة بوصفها خطابا قائما بين متكلم ومتلق، فليس النص وصفا للمتكلم فحسب بل لا بدَّ من أن يراعي المتكلم المتلقي حين التكلم بل قبل التكلم أيضاً حين يرتب المعاني في ذهنه، كما أنّ الوظائف اللغوية قد بينها بوضوح علماء البلاغة منبهين على أن اللغة قائمة على أداء وظائف وليست اللغة من أجل اللغة فحسب بل اللغة لها أغراض قائمة عليها، وإشارات علماء البلاغة إلى المفاهيم التي ذكرها جاكبسون في نظريته التواصلية كثيرة جدا لأن مبنى البلاغة العربية على المثلث التواصلي (المرسل، الرسالة، المرسل إليه) ولكل واحد من هذه المفاهيم الثلاثة أسلوب معين يعبر عنه، يقول القرطاجني: "فأما المأخذ الذي من جهة الحيلة الراجعة إلى القائل فمن شأنه أنْ تقع معه الكلم المستندة إلى ضميري المتكلم كثيراً، فأما ما يرجع إلى السامع من ذلك فكثيرا ماتقع فيها الصيغ الأمرية ومابإزائها، وبالجملة تكثر فيها المسموعات التي هي أعلام على المخاطبة، فأما مايرجع إلى المقول به فكثيرا ماتقع فيها الأوصاف والتشبيهات وأكثر مايستعمل ذلك مع ضمائر الغيبة"[٩٢]، فقد ذكر القرطاجني هنا مايستعمله طرفا الخطاب لتحقيق الوظائف التواصلية وذكر مايستعمل في الرسالة (المقول به) إشارة إلى الوظيفة المرجعية التي ذكر أنها تستعمل معها ضمائر الغيبة، وسنذكر أبرز وظائف التواصل اللغوي التي تكلم عليها علماء البلاغة من خلال مباحثهم البلاغية - موجزين في ذلك من أجل طبيعة البحث- كما يأتي:

١- تعريف البلاغة والوظائف التواصلية: عرف علماء البلاغة بأنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[٩٣]، وقد بين هذا التعريف عدة مسائل تواصلية وهي:

أ- اشتماله على العناصر التواصلية الثلاثة فالمتكلم يوصل الكلام إلى المخاطب، لأنّ المقصود بمقتضى الحال هو حال المخاطَب كما هو واضح من كلام علماء البلاغة[٩٤].

ب- بين التعريف وظيفة الخطاب لأنّ البلاغة قائمة على مراعاة الكلام لمقتضيات الحال ومايناسب المخاطَب، فلكل وضع مايناسبه من الكلام، وبالجملة فإن أساليب الكلام وتنوعاته تختلف على وفق وظائفه وأغراضه[٩٥].

ج- بيّن هذا التعريف أهمية جمالية الكلام حين شرطوا الفصاحة في مفهوم البلاغة، فاجتمعتْ للبلاغة مطابقة الكلام لما يناسب المتلقي مع جمالية الكلام، الذي نستطيع أنْ نعبر عنه بالوظيفة الشعرية.

٢- تعريف المجاز ووظيفته التواصلية: شرط علماء البلاغة في المتكلم بالمجاز ذكر قرينة فيه دالة على عدم إرادة المعنى الحقيقي، وعرّفوا المجاز بـ"الكلمة المستعملة في غير ماوضعت له في اصطلاح التخاطب به على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته"[٩٦]، فالقرينة يذكرها المتكلم من أجل المتلقي، فالمتكلم حين يرتب كلامه في ذهنه فإنه يستحضر المتلقي الذي يوجّه له هذا الكلام، ولهذا ينصب القرينة في كلامه ليفهم المتلقي الكلام على مايقصده المتكلم، لأنه لولا القرينة لفهم المتلقي الكلام على حقيقته وهو خلاف مايريده المتكلم، فينقطع التواصل ويفهم المتلقي الكلام على غير الوجه الذي يقصده المتكلم.ويتبين من هذا التعريف أن القرينة تؤدي وظيفة تواصلية بين المتكلم والمتلقي، إذ لولاها لانقطع التواصل الصحيح ولفهم المتلقي الكلام على غير الوجه المطلوب.ولهذا شرط البلاغيون أنْ تكون القرينة التي ينصبها المتكلم واضحة عند المتلقي.

٣- الاستعارة ووظائفها التواصلية: لم يخل كتاب في البلاغة من الكلام على الاستعارة والتشبيه، ولكننا في هذا البحث سنركّز على كتاب أسرار البلاغة للجرجاني للكلام على وظائف الاستعارة والتشبيه لأهمية هذا الكتاب في استيعاب الاستعارة والتشبيه منهجا وتطبيقا، بل يعد هذا الكتاب العمدة في علم البيان من بين كتب البلاغة العربية، وأمّا الاستعارة فهي "اللفظ المستعمل في غير ماوضع له للمشابهة"[٩٧]، كقولنا (رأيت أسداً يرمي)، فقد نقل الأسد للرجل الشجاع ولكن هذا النقل غير لازم بل كالعارية، وقد تكلم الجرجاني على الاستعارة وبين أنّ الاستعارة لاتتحقق إلا بوجود المتلقي وملاحظته للكلام، فإن أول نوع من الاستعارة أن يرى المتلقي معنى الكلمة المستعارة موجودا في المستعار له[٩٨]، بل إن الاستعارة بأنواعها قائمة على وضع المتلقي يده على وجه الشبه والعلاقة التي تربط المستعار بالمستعار منه.وقد بيّن الجرجاني وظيفة المتلقي في الاستعارة بقوله "وإنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه ستراً وتعمل تأملاً وفكراً"[٩٩]، وقد مدح الجرجاني الاستعارة ووصفها بأوصاف الجمال والإثارة والمتعة مما لايكاد أن يكون موجودا في أكثر فنون البلاغة[١٠٠]، فهي قائمة على "ماتعيه القلوب وتدركه العقول وتستفتى فيه الأفهام والأذهان"[١٠١]. ويتبيّن من كلام الجرجاني أنّ الاستعارة تُحقِّقُ (الوظيفة الشعرية) في الكلام بما تؤدّيه من إثارة المتلقّي وتأمّله وانفعاله مع الجمال الذي ترسمه الاستعارة، فإنّها تجعل المتلقي يغيب عن المتكلم والكلام ويغيب عن نفسه تأمّلاً في الجمال والمتعة التي تتضمنها الاستعارة.

وقد أشار الجرجاني إلى (الوظيفة المرجعية) في الاستعارة حين ذكر أن الاسم جنس تدخله الاستعارة، فإن أحد نوعيه أن ينقل عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه وتجعله متناولا له تناول الصفة مثلا للموصوف وذلك كقولنا(عنّت لنا ظبية) ونعني المرأة، و(أبديت نورا) ونعني بالنور الهدى والبيان والحجة..، فالاسم في هذا كله يتناول شيئا معلوما بأن نقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر على سبيل الإعارة والمبالغة في التشبيه[١٠٢]، فالشيء المعلوم هو الشيء المشترك بين المتكلم والمتلقي، ولولا هذا الشيء المشترك لما تحققت الوظيفة المرجعية في الاستعارة.

٤- التشبيه ووظائفه التواصلية: إن العبرة من التشبيه الذي يلقيه المتكلم على المتلقي هي معرفة المتلقّي لوجه الشبه فقد يذكره المتكلم وقد يخفيه، وحينئذ تكون مهمة معرفة وجه الشبه على المتلقي، فالتواصل اللغوي موجود في التشبيه ولاسيما عن طريق اقتناص وجه الشبه الذي قد يضمره المتكلم ليحيل على المتلقي استخراجه، وقد ذكر الجرجاني ثلاثة أحوال للمتلقي ليفهم وجه الشبه: فإما أن يكون سهل المأخذ أو يحتاج إلى قدرٍ من التأمل أو يحتاج إلى فضل رؤية ولطف فكر[١٠٣]. وهنا يشير الجرجاني إلى (الوظيفة الشعرية) أيضاً التي يحققها التشبيه ولاسيّما إذا حصل المتلقي على وجه الشبه بالتأمّل

ولطيف الفكرالذي يورث متعة في نفس المتلقي، كما أن الوظيفة المرجعية حاضرة أيضاً لأنّ الكلام لايخلو من إشارة إلى المعاني المفيدة.

ويمكن ان نقسّم التواصل اللغوي على ماذكره علماء البلاغة على نوعين:

أ- التواصل الاعتيادي: وهو مالايحتاج إلى تفكر وتدبر بل هو واضح للمتلقي عموما كما في سهولة معرفة وجه العلاقة في الاستعارة بأن لايحتاج إلى تدبر أو تأمل[١٠٤]، أو معرفة وجه الشبه في التشبيه كما تقدم في أحوال المتلقي في فهم وجه الشبه، وقد ذكر الجرجاني أنّ التشبيه قد يكون "من جهة أمر بيّن لايحتاج إلى تأول"[١٠٥]، بل هو واضح سهل الوصول إليه من المتلقي.ولا بدَّ من الإشارة إلى أن التأول الذي ذكره الجرجاني هو وصف للمتلقي الدال على أهمية المتلقي في العملية التواصلية في البلاغة العربية.

ب- التواصل الإبداعي: وهو الذي يحتاج إلى تفكر وتدبر ولطيف فكر ومنه بعض الاستعارات المرتكزة على الصورة العقلية كاستعارة النور للبيان، والحجة الكاشفة للحق، كما جاء في قوله تعالى﴿ واتَّبَعُوا النّورَ الّذي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾[١٠٦]، ومنه أيضاً بعض التشبيهات التي تحتاج إلى تأمل وتفكر وتعمق وتحصيل وجه الشبه[١٠٧] كقولنا(هذا حجة كالشمس في الظهور)، وقد استغرق الجرجاني سبعة عشر سطرا لبيان وجه الشبه في هذا المثال[١٠٨]، فالتواصل الإبداعي هو أن يلقي المتكلم كلاما فيه غرابة وطرافة "لأنّ الشيء كلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع)[١٠٩]، إنَّ التواصل الإبداعي يديم العلاقة بين المتكلم والمتلقي فلا ينقطع عنه مما يحقق الوظيفة الانتباهية فضلا عن الوظيفة الشعرية المتحققة بسبب التأمل والتأثر والإعجاب، ويلحظ هنا أنّ الوظيفة الانتباهية لم تحققها علامة لغوية(أداة) بل حققها التأمل وطول الفكر في الرسالة الكلامية.

٥- الالتفات ووظائفه اللغوية: يعدّ الالتفات ظاهرة بلاغية أصيلة في الكلام العربي، وهو نوع من التحول الأسلوبي في النص الواحد ولايكون في جملة واحدة بل في جملتين أو أكثر[١١٠]وذلك بالانتقال من ضمير الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كما في قوله تعالى ﴿الحَمْدُ للهِ رَبّ العالَمين الرَّحْمنِ الرَّحيم مالكِ يومِ الدّينِ إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نستعين﴾ فحصل انتقال من الغيبة إلى الخطاب في هذه الآيات[١١١]، وكما في قوله تعالى﴿حَتّى إذا كُنْتُم في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِم﴾[١١٢] وقد يكون بالانتقال من زمن إلى زمن آخر، أي عن طريق صيغ الفعل، كما في قوله تعالى ﴿إنَّ الذينَ كَفَرُوا وَيَصدّوُنَ عَنْ سَبيلِ اللهِ﴾[١١٣]، فالالتفات يشمل امرين:التحول في استعمال الضمائر والتحول في استعمال الصيغ الزمنية بالانتقال من الفعل الماضي إلى المضارع[١١٤]، وقيل: إنّ الالتفات يشمل أكثر مما ذكر[١١٥]، وعلى كل حال فما يعنينا هنا هو الوظيفة البلاغية التي يؤديها الالتفات، فقد ذكر الزمخشري وظيفة الالتفات بقوله: "لأنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء اليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد"[١١٦]، فقد أثبت الزمخشري أن الالتفات له وظيفتان: إحداهما دفع الملل عن السامع وتنبيه السامع واستدرارٌ لنشاطه التواصلي مع المتكلم وثانيهما مراعاة معاني الكلام وحال المخاطب وقد بين هذا حين تكلم عن الالتفات في سورة الفاتحة، وأشار القرطاجني إلى وجوب عدم الاستمرار على أسلوب واحد في الكلام لأنه يورث السآمة كما أنه ألذّ وأطيب لدى المتكلم والمتلقي معا[١١٧]، ويقول الزركشي في تعريفه: "هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"[١١٨]، فالالتفات يؤدي الوظيفة الانتباهية كما صرح غير واحد من علماء البلاغة، وإن كنا نرى أن الالتفات يؤدي وظيفة أخرى لمراعاته مقتضى حال السامع ولاسيما الوظيفة الشعرية لإفادته المتعة والجمال فضلا عن الوظيفة المرجعية، ولهذا بحثه السكاكي في باب تحسين وجوه الكلام فيكون من علم البديع كما بحثه في علم المعاني أيضاً[١١٩]، ولا بدَّ من الاشارة إلى أن علم البديع قد هضم حقه وأهدرت وظائفه بطريقة دراسته وأسلوب بحثه الوصفي، ولو درس علم البديع على أن له وظائف معينة ولكل نوع وظائفه الخاصة به وتُربط الوظيفة في الكلام مع الوظائف البلاغية الأخرى المصاحبة له لما قيل إن علم البديع من المحسنات اللفظية، فهذا هضم لحقه، وكيف يكون كذلك والقرآن الكريم مليء بالفنون البديعية كما استعمله فصحاء

العرب وبلغاؤهم. فلا بدَّ من إعادة دراسة علم البديع ليجمع بين الدراسة الوصفية التحليلية مع الدراسة الوظيفية.

الخاتمة

في نهاية البحث لا بدَّ من أن نقول: إنّ النظرية التواصلية اللغوية التي صارت تنسب إلى جاكبسون بعواملها ووظائفها اللغوية قد عرفها الدرس اللغوي في العربية منذ قرون، فمفهوم الخطاب اللغوي قد حدد وضبط عند علماء أصول الفقه استنادا إلى الدرس اللغوي، فبينوا شروط المخاطِب والمخاطَب ومتعلقات الخطاب، وقد بين النحاة أهمية المثلّث التواصلي وعناصر الكلام المعبرة عنه، كما أن النحاة اهتموا بالعلاقة التي يجب أن تربط المتكلم بالمتلقي من حيث وجوب أن ينظر المتكلم إلى المتلقي وأحواله قبل نطق الكلام، ومامصطلح (أمن اللبس) الذي يتردد كثيرا عند النحاة إلا محاولة لتقريب النص إلى المتلقي ليفهمه على الوجه الذي يريده المتكلم، فضلا عن أنّ النحاة بيّنوا الوظائف التواصلية في كثير من الأبواب النحوية، وأما في علم البلاغة فقد كانت علاقة المتكلم بالمتلقي واضحة أشد الوضوح، فالبلاغة مراعاة المتكلم لمقتضى حال المتلقي، كما أن المباحث البلاغية تعبر عن وظائف لغوية، وقد ذكروا كثيرا من هذه الوظائف، فالوظيفة المرجعية لاتنفك أبدا عن الكلام، وأما الوظيفة الشعرية فهي المهيمنة في فنّ المجاز عموماً ولاسيما الاستعارة والتشبيه، وقد فطن علماء البلاغة إلى الوظيفة التنبيهية التي ذكرها التواصليون وصرحوا بها في بعض الفنون البلاغية، كما أن علماء البلاغة كثيرا ماكانوا يجعلون لفن واحد أكثر من وظيفة بلاغية (تواصلية)، كما هو الحال مع الاستعارة والتشبيه والالتفات وغير ذلك. وقد اختار البحث أن يستبدل اسم وظيفة ما وراء اللغة أو الميتا لسانية بـ(الوظيفة التعريفية)" لأنّ التعريف هو أنسب مايكون في التعبير عن القول الشارح الذي ذكره المناطقة والذي قصده جاكبسون، لأنّ مصطلح التعريف يعمّ شرح معنى الكلمة بمقوماتها أو بما يوضّحها كما يتناول توضيح معنى الكلام عموماً أيضاً.

الهوامش

١- تطور علم اللغة ١٤٩
٢- النص والخطاب والاجراء ٨٥
٣- علم اللغة العام ٣٨
٤- تطور علم اللغة ٢٣٨
٥- الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة، ص ١٠ (من الفصل التمهيدي).
٦- حاشية البناني على شرح جمع الجوامع ٧٩/١
٧- المصدر نفسه ٨٠/١-٨٢
٨- ينظر: لسانيات النص ١٠
٩- ينظر حاشية البناني على شرح جمع الجوامع ٨٢/١
١٠- نهاية السول ١/ ٤٧
١١- الكليات ٤١٩
١٢- لسانيات النص١٢
١٣- لسان العرب ٤٨٥٠/٦
١٤- ينظر: شرح التفتازاني على تصريف الزنجاني/٣٨
١٥- تطور علم اللغة ١٤٩
١٦- قضايا الشعرية ٦١
١٧- المصدر نفسه ٦٠
١٨- التواصل اللساني والشعرية ١٥
١٩- علم اللغة العام ٣٠
٢٠- ينظر: التواصل اللساني والشعرية ١٧ ومابعدها، والتواصل واللسانيات ٦٦-٦٧

٢١- قضايا الشعرية٣٠
٢٢- ينظر: الأسلوب والأسلوبية ١٣٧
٢٣- أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ٤٣
٢٤- قضايا الشعرية ٢٨
٢٥- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٢٦- الجامع الصغير ٣٣٢
٢٧- ينظر: قضايا الشعرية ٢٧، والتواصل اللساني والشعرية ٢٧
٢٨- حدود التواصل ٣٨
٢٩- قضايا الشعرية ٢٧
٣٠- علم اللغة العام ٢٧
٣١- ينظر: التواصل اللساني والشعرية ٢٨
٣٢- قضايا الشعرية ٢٧
٣٣- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٣٤- المصدر نفسه ٢٨
٣٥- الوظيفة التبيهية في سورة البقرةص٢ (من الفصل التمهيدي)، نقلا من المعجم العربي الأساسي، طبعة لاروس، ١٩٨٩
٣٦- ينظر محاضرات في الصوت والمعنى ٣٣-٣٤
٣٧- قضايا الشعرية ٢٧
٣٨- المصدر نفسه ٦٠
٣٩- تطور علم اللغة ٣٣١
٤٠- لسانيات النص(أحمد مداس) ٥٧
٤١- الأسلوب والأسلوبية ١٥٨
٤٢- قضايا الشعرية ٢٩
٤٣- المصدر نفسه ٢٨
٤٤- المصدر نفسه ٢٩
٤٥- البقرة/٢٣٣
٤٦- قضايا الشعرية ٢٩
٤٧- ينظر التواصل اللساني والشعرية ٣٩
٤٨- قضايا الشعرية ٢٩
٤٩- قضايا اللشعرية ٣٠
٥٠- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.، و"هَمْ-هَمْ" هنا هو صوت يوظَّف للإجابة كما وقع إجابة لسؤال"أتَسْمَعُني؟"
٥١- ينظر: نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة/٧١، واللسانيات الحديثة والتواصل ١٨
٥٢- قضايا الشعرية ٣٠-٣١
٥٣- نظرية التواصل في ضوء اللسانيات ٧٠
٥٤- قضايا الشعرية ٣٠
٥٥- الأسلوب والأسلوبية ١٥٩
٥٦- قضايا الشعرية ٧٧
٥٧- ينظر:السيمياء /١٠، ونظرية التواصل، المفهوم والمصطلح(القضماني) ١٤٣
٥٨- ينظر: قضايا الشعرية٣١، واللسانيات والتواصل٢٠، ونظرية التواصل المفهوم والمصطلح١٤٤.
٥٩- ينظر: قضايا الشعرية ٣١، ٣٤
٦٠- ينظر: البرهان في المنطق ١١٤
٦١- ينظر قضايا الشعرية ٣١
٦٢- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٦٣- السيمياء ١٢
٦٤- قضايا الشعرية ٣٣
٦٥- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٦٦- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٦٧- المصدر نفسه ٣١-٣٢
٦٨- حاشية يس على الفاكهي ١٦/١
٦٩- التصريح على التوضيح ٦٩/١، وحاشية الصبان٢٩/١-٣٠، وحاشية يس على الفاكهي ٨٨/١-٨٩
٧٠- التصريح على التوضيح ٧٢/١-٧٣، حاشية الصبان على الأشموني:٣٠/١
٧١- التصريح على التوضيح ٧٢/١، حاشية يس على الفاكهي٨٨/١
٧٢- ينظر: التذييل والتكميل في شرح التسهيل٣٤/١-٣٥، وشرح التصريح على التوضيح٧٢/١، وحاشية يس على الفاكهي٨٩/١
٧٣- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب٢٠٣/١
٧٤- التذييل والتكميل شرح التسهيل ١٨١/٣
٧٥- شرح المفصل لابن يعيش ١٣٩/٣
٧٦- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٩١/٣
٧٧- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ١٢٩/٢
٧٨- ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٩/٣
٧٩- ينظر: التصريح على التوضيح:٥٧٢/١، وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب٢٠٢/١-٢٠٣
٨٠- حاشية يس الحمصي على التصريح ٥٧٣/١
٨١- الكتاب ٢٢٤/٤
٨٢- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب٣١٣/١
٨٣- المصدر نفسه ٣٨٦/١
٨٤- شرح المفصل لابن يعيش ١٥/٢
٨٥- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٤٣١/٤
٨٦- شرح التسهيل لابن مالك ٢٨٢/٣
٨٧- النساء/٧٣
٨٨- النمل/٢٥
٨٩- المصدر نفسه ٢٩٣/٣
٩٠- سورة آل عمران/١١٩
٩١- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ١٧٥/٣
٩٢- منهاج البلغاء ٣٤٨
٩٣- المطول ١٢٦
٩٤- ينظر: المطول١٢٦، وحاشية الدسوقي :٢٢٣/١
٩٥- ينظر: دلائل الاعجاز ٨٧
٩٦- مفتاح العلوم ٢٦٨
٩٧- ينظر : أسرار البلاغة ٣٠، والمطول ٥٧٣، والكليات ١٠٠
٩٨- أسرار البلاغة ٥٥
٩٩- نفسه ٤٧
١٠٠- نفسه ٤٢
١٠١- نفسه ٢٠
١٠٢- نفسه ٤٤
١٠٣- نفسه ٩٣
١٠٤- نفسه ٥٥
١٠٥- نفسه ٩٠-٩٢
١٠٦- الأعراف /١٥٧
١٠٧- أسرار البلاغة ٩٠
١٠٨- نفسه ٩٢
١٠٩- البيان والتبيين ٨٩/١
١١٠- البرهان في علوم القرآن ٣٦٢/٣
١١١- الكشاف ٢٣/١
١١٢- يونس /٢٢

١١٣- الحج/٢٥
١١٤- االمثل السائر ١٦٦/٢
١١٥- البرهان في علوم القران ٣٨٣/٣
١١٦- الكشاف ٢٤/١
١١٧- منهاج البلغاء ٣٤٨
١١٨- البرهان في علوم القران ٣٦١/٣
١١٩- مفتاح العلوم ٨٦-٨٧، ١٧٩- ١٨١

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب المطبوعة

١- أساسيات الخطاب العلمى والخطاب اللسانى (مبحث ضمن كتاب المنهجية فى الأدب والعلوم الإنسانية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م.
٢- أسرار البلاغة، أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو٤٧٤)هـ، علق عليه محمود شاكر، شركة القدس، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
٣- الأسلوب والاسلوبية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٣.
٤- البرهان في علوم القران، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله، ت٧٩٤هـ)، علق عليه:مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٥- البيان والتبيين، الجاحظ(أبو عثمان بن عمرو، ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.
٦- التذييل والتكميل في شرح التسهيل، أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف، ت٧٤٥هـ)، تح: د، حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٧٧م.
٧- تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠م، جوهارد هلبش، ترجمة وتقديم: أ.د.سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١.
٨- التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الطاهر بو مزبر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.
٩- الجامع الصغير، السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن، ت٩١١هـ)هـ، تح: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٠- حاشية البناني على شرح الجوامع، البناني(عبد الرحمن بن جاد الله، ت١١٩٨هـ)، ومعه (شرح جمع الجوامع لجلال الدين المحلي،ت٨٦٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
١١- حاشية الدسوقي على مختصر السعد، الدسوقي (محمد بن عرفة، ت١٢٣٢هـ)، تح:د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
١٢- حاشية الصبّان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك، الصبان (محمد بن علي، ت١٢٠٥هـ)، تح: د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ٢٠٠٩م.
١٣- حاشية يس على شرح الفاكهي على قطر الندى، يس بن زين الدين الحمصي الشافعي، ت١٠٦١هـ)، نشر: مكتبة الارشاد، تركيا.
١٤- حدود التواصل- الاجماع والتنازع بين هابر ماس وليوتار فرانك، مانفرد، ترجمة وتقديم وتعليق:عز العرب لحكيم بناني، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٣م.
١٥- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبدالرحمن بن محمد، ت٤٧١ أو٤٧٤هـ)، علق عليه محمود شاكر، دار المدني، القاهرة-جدة، ط٣، ١٩٩٢م.
١٦- السيمياء، بيار غورو، ترجمة: أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط١، ١٩٨٤م.
١٧- شرح التسهيل، ابن مالك (جمال الدين محمد الأندلسي، ت٦٧٢هـ)، تح: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٨- شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ)، تح:احمد السيد سيد احمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٩- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي (محمد بن الحسن، ت٦٨٦هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٢٠- شرح المفصل، ابن يعيش النحوي (أبو البقاء موفق الدين بن علي، ت٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت.
٢١- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، ترجمة: د.يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د.مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
٢٢- قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.
٢٣- الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان، ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٩م.

٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، ت٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.
٢٥- الكليات، أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى، ت١٠٩٤)هـ، أعده للطبع ووضع فهارسه: د.عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.
٢٦- لسان العرب، بن منظور (محمد بن مكرم، ت٧١١هـ)، دار المعارف، مصر.
٢٧- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د.أحمد مداس، عالم الكتب الحديث، إربد-عمان، ط٢، ٢٠٠٩م.
٢٨- المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير(أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد، ت٦٣٧)هـ، قدّمه وعلّق عليه:د.أحمد الحوفي ود.بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
٢٩- محاضرات في الصوت والمعنى،رومان جاكبسون، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح،المركز الثقافي العربي، بيروت،ط١، ١٩٩٤م.
٣٠- المطوّل شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفاتازاني (مسعود بن عمر، ت٨١٦)هـ، صحّحه وعلّق عليه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
٣١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني ت(٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
٣٢- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: أ.د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.
٣٣- نهاية السول في شرح منهاج الأصول، الأسنوي(جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، ت٧٧٢هـ) ، عالم الكتب، بيروت.

ثانياً : الرسائل الجامعية والبحوث والدوريات:

١- نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، محند الركيك، بحث مستل من كتاب التواصل واللسانيات، (النت).
٢- نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، د.رضوان قضماني واسامة العكش، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية-سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٩) العدد (١)٢٠٠٧م. (النت).
٣- الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة، (رسالة ماجستير)، موهوب أحمد، جامعة منتوري-قسنطينة، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦. (النت).